Coptology

حوارٌ مع صديق عن ألوهية يسوع المسيح (٢)

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٧

www.coptology.org

الحوار الثاني

عاد صديقي عزت للحوار وهو مثقلٌ بأفكارٍ كثيرة.

عزت: أنا مندهش من إصـــرارك على أن يســـوع إلهٌ، مع أنه كان يأكل ويشـــرب وينام، وحســـب التاريخ الروماني، صُـلب ودُفِن، وحســـب التاريخ المسـيحي قام في اليوم الثالث، أعني أن هذه ليست صفات أو حياة إله، بل إنسان.

جورج: نعم أنت قلت نصف الحقيقة؛ لأن يسوع هو فعلاً إنسان، ولكن النصف الآخر هو الأُلوهة التي تبدو لك كما لو كانت إشكالية كبرى.

عزت: نعم هي إشـكالية؛ لأنه إما هو إنسـانٌ، وإما هو إله. فلماذا تريد أنت أن تعترف بأنه إلهٌ وإنسان؟

جورج: وجدت في تاريخ الإنسـانية غير المسـيحي عطشـاً هائلاً لكي يصـل الإنسـان إلى الأُلوهة. عندنا في مصـر الفرعونية، تعدُّد آلهة الفراعنة هو إسـقاط إنسـاني لرغبات مكبوتة كامنة في الوجدان، أسقطها الإنسان على ما حوله لأنه يريد أن يصل إلى الله، ويريد أن يكون مثل الله.

عزت: أنت إنســان عجيب، تقفز من حيث لا أتوقع. ما علاقة عطش الإنســان إلى الله وإلى الأُلوهة بتجسد يسوع المسيح؟

جورج: يا أخي خليك صبور وتمهَّل عليَّ. لو درست التصوف الإنساني في أقدم ديانات الأرض، الهندوكية والبوذية، ثم ما جاء بعد ذلك، لوجدت أن الإنســـان يريد أن يذوب في الله باسـم النرفانا، وأن يكون هو الإله مثل بوذا، وأن يعشق الله إلى حد

الموت جوعاً وعطشـــاً مثل ابن الفارض في الإســـلام، أو يذوب حُبَّاً مثل رابعة العدوية، أو يتغنى بالرحمة والمحبة مثل جلال الدين الرومي في كتابه "المثنوي" أطول شِعر عن الله في تاريخ البشرية.

عزت: حاســـب. أنت انتقلت من الهند إلى فارس وإلى العراق وإلى مصـــر، بذكر هذه الأسماء التي لا أعرف منها إلا القليل.

جورج: هذه الأسماء تؤكد لنا أن الكلمة اللوغوس يُرســـل نور معرفته لكل البشـــر، وأن الإشـراق الكامل تمَّ في تجسـده، وهذه هي محصـلة دراسـتي لعلماء الإسـكندرية العظام: أكليمنضـس وأوريجينوس، ثم اسـحق السـرياني، ويوحنا الملقب بالشـيخ الروحاني، وسلسلة تمتد من أنطونيوس الكبير في مصر إلى رجال ونساء في الغرب، كان أعظمهم على الإطلاق إيكهارت، ثم أنجيلوس سـلاسـيوس، الأول في القرن الثالث عشـــر، والثاني في القرن الســـابع عشـــر. لديَّ عبارة واحدة هي عطش الإنسان إلى التألُّه، وإلى أن يحب كما يحب الله، ولذلك لم أجد في استعلان يسوع المسيح إلَّا تحقيق لهذا العطش، وتقديم الماء الحقيقي الذي يروي هذا العطش.

عزت: لقد خرجت عن الموضـــوع تماماً. أنا أســـألك عن المســـيحية، وأنت تجمع من الإســـكندرية إلى الســـريان، ثم الغرب، وأنا لم أسمع عن إيكهارت، والآخر الذي ذكرته .. أنا محتار فيك. جاوبني لماذا تؤمن بأن يسوع هو إله وإنسان كما ذكرت؟

جورج: لقد أخبرتك وأنت لا تريد أن تسمع جيداً. لدينا جيشٌ من البشر، امتد من فجر الحضـارة حتى عصـرنا الحاضـر، من آدم إلى كيرلس السـادس ومتى المسـكين وعبد المسيح المقاري وبيشـوي كامل. هؤلاء نالوا النور الإلهي من اللوغوس المتجسـد. ثم ماذا ترى في عطش هتلر إلى الأُلوهة، وهو يريد أن يحكم العالم كله؟ ألا ترى أن النازية ثم الفاشية، وبعدها داعش، وقبل داعش، الاشتراكية الشيوعية، أي الأنظمة الشمولية، إلا بحث الإنسان عن المطلق والخروج عن المحدود؟

عزت: عجيبٌ أمرك! كيف يكون تفوُّق الجنس الآري الألماني عطشاً إلى الله؟

جورج: ليس التفوُّق العِرقي للجنس الآري، بل استخدام هذا التفوُّق بشكلٍ مطلق يحكم الكرة الأرضية. كان هذا هو الحلم الإلهي للنازية، وهو ذات حلم داعش في أيامنا. هو عطشٌ مقلوب، أي بدلاً من أن يتجه نحو بناء ما هو صالح وإيجابي، انقلب إلى تكوينٍ شرير هدام، جعل من المطلق هدفاً يستوجب قتل وتدمير كل اعتراض في طريقه. هذه هي الأُلوهة المقلوبة التي تستدير نحو الذات، وتجعل الذات أو الأمة أو الجنس هو المرجعية المطلقة التي تحكم على كل شيء آخر بالتدمير.

عزت: أنا أحتاج لبعض الوقت لكي أهضم هذه المقولة. وأنا لم أسمع عن أُلوهة مقلوبة. حاول أن تكون رحيماً مع إنسان بطيء التفكير مثلي.

جورج: حسناً. تأمل إنساناً انفجر غضبه على إنسانٍ آخر، فقام ليس فقط بضربه، بل بقتله، ثم تقطيع أعضائه. مَن الذي أعطاه الحق في هذا التصرف؟ هو الأُلوهة الكاذبة أو المقلوبة. طيب بلاش دي. هل سمعت أشعار العشق التي تنشدها السيدة أم كلثوم والتي تعبِّر عن الرغبة في أن تذوب في الحبيب كما في شعر إبراهيم ناجي في قصيدة الأطلال.

عزت: نهارك موش فايت. إيه اللي جاب أم كلثوم للتجسد.

جورج: يا أخي أنا لم أتكلم عن أم كلثوم، ولكن عن العشق، عن الرغبة في الاتحاد المطلق مثل:

وإذا النورُ نذيرٌ طالعٌ وإذا الفجرُ مُطِلٌّ كالحريق.

فقد ظلَّت تحب مَن تحب، حتى جعلها نور الفجر تفيق.

عزت: أنت تحب الآباء.

جورج: نعم.

عزت: هل قرأت هذا عند الآباء؟

جورج: نعم. عند مار إفرام السرياني. إن التجسد كان استجابةً من الله لرغبة آدم في أن يصير إلهاً. وعند النزينزي: لابُد أن أصير إلهاً لكي أعرف كيف أُخاطِب الله.

عزت: لا. أنا أقصد الذوبان في الآخر في العشق.

جورج: قرأته في سفر النشيد. وإذا درسته جيداً، تجد أن المرأة والرجل كلاهما يبحث عن الآخر لدرجة أن الرجل يُسقِط أوصاف البيئة المحيطة بالمحبوبة على المحبوبة، فيتحول المحدود إلى مطلق.

عزت: هل أنت أول مَن فكَّر في هذا؟

جورج: لا، بل هي دراستي وحواري مع عمالقة مثل د. وهيب عطا الله، ود. وليم الخولي، ودراستي لموسوعة ميشيل فوكوه لتاريخ العلاقات الجنسية، وهو قد استفاد بلا شك من تراثنا الأرثوذكسي، وطوَّعَ هذا التراث. لأن مكسيموس المعترف –قبل فرويد– هو الذي رأى في الجنس Sex الرغبة في الخلود. وتبع هؤلاء عددٌ كبير من علماء الاجتماع عبَّروا بأن الرغبة في الخلود هي المحرك الحقيقي لمحبة الوطن، والزواج والاتقان الفني والفلسفي والعلمي، بل والعسكري إيضاً.

عزت: حلو. ما علاقة كل هذا بالإله المتجسد الذي تعشقه أنت؟

جورج: شيءٌ غريب. أراه كما أراك. لقد جاء الكلمة وصار إنساناً لكي يصير الإنسان إلهاً (كما كتب اثناسيوس في تجسد الكلمة فصل ٥٤: ٣). وهو ما يعني أنه جاء لكي يحقق لي أعز ما أُريد: أن أصير إنساناً حقيقياً يجد في تجسده تحقيق كل ما كان يتمناه، وهو الخلود والقيامة وميراث الملكوت. هذه ليست كلمات، وإنما هي

ما وُهِبَ لنا في يسوع المسيح.

عزت: آه، لقد عُدت إلى النقل من جديد.

جورج: حتى هذه اللحظة لا أعرف ما هي مشكلتك مع النقل؟

عزت: المسلَّمات التي بلا دليل.

جورج: دليلي على ما أقول هو الإنسان الكائن فعلاً فيَّ وفيك؛ لأن يسوع هو بداية الإنسان وهو مصير الإنسان. هو بداية ما هو حقيقي: أنا وأنت، ومصير ما هو حقيقي: أنا وأنت. الإنجيل يبدأ بالإنسان: "الكلمةُ صار جسداً"، وينتهي بمصير الإنسان: "وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي".

عزت: هل يمكن أن نتابع الحوار؛ لأن ما ذكرته سوف أسمعه أكثر من مرة، وأحتاج إلى وقتٍ لكي أُفكِّر فيه.

جورج: حسناً، وبكل سعة صدر.

د. جورج حبيب بباوي